مجلة الرائد

العدد : ١٨١ الموافق في صفر ١٤١٧ هجري ٦ / ١٩٩٦ ميلادي

عنوان المقال : وماذا بعد ذهاب بيريز... ؟!	بقلم : متولي موسى

لم تشهد انتخابات في تاريخ « الكيان الصهيوني » ما شهدته انتخابات ١٩٩٦/٥/٢٩م ، فقد علق الساسة والقادة والمثقفون العرب آمالهم على فوز « شمعون بيريز » برئاسة الحكومة !!! ، ولقد كانت السلطة الفلسطينية أشد الناس حماساً وعملاً لتحقيق ذلك ، فقد تجاوزت التصريحات إلى القيام بإجراءات عملية ، كان من أبرزها: تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني قبيل الانتخابات ، على أمل أن يسهم ذلك في تعزيز فرص نجاح حزب العمل وبيريز ، كما استخدمت السلطة الفلسطينية نفوذها في أوساط الفلسطينيين في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨م لحثهم على انتخاب بيريز ، كما صرح بعض رموز السلطة الفلسطينية أنهم لا يعارضون تأجيل انسحاب جيش الاحتلال من مدينة الخليل ، ومواصلة فرض الطوق الأمني على الضفة والقطاع ، إذا كان ذلك من شأنه أن يدعم فرص بيريز وحزب العمل في الانتخابات...!!!

واعتبر كثير من الساسة والقادة والمثقفين العرب أن مؤتمر « شرم الشيخ » والمشاركة الفاعلة للعرب فيه ، والسكوت عن تدمير جنوب لبنان والمذابح التي حدثت إنما يساعد شمعون بيريز في مواجهة اليمين المتطرف ، وسحب البساط من تحت أقدامه ، إذ أن نجاح تكتل « الليكود » وفوز نتانياهو يعزز فرص الحرب ويوقف أو يُعوق فرص السلام !!!.

ولكن وبالرغم من كل الذي حدث من قبل الفلسطينيين والعرب والأمريكان ، جاءت نتائج الانتخابات بتكتل الليكود والأحزاب الدينية والمتطرفة إلى سدة الحكم ، وفاز نتانياهو برئاسة الحكومة... وذهب بيريز... وتساءل الجميع: ما هو موقف العرب؟ وما هو موقف أمريكا؟ وما هو مستقبل المنطقة؟ وغيرها من الأسئلة ، ولا يتسع المقام للحديث المفصل ، وسأكتفي بإشارات في المقال المحدود.

هل هناك اختلاف جوهري بين بيريز ونتانياهو ؟

حاول كثير من الكتاب المراوغين والمضلِّلين تصوير الخلاف بين الرجلين على أنه خلاف بين رؤيتين وفلسفتين للحكم ، وتصوير أساس الخلاف أنه يرجع إلى شجاعة بيريز في الرفض العلني لقيام « إسرائيل الكبرى » ، والتلميح إلى قيام « دولة فلسطينية » والاعتراف بـِ « سلام » مع سورية بعودة الجولان ، والإقرار بأن بناء المزيد من المستوطنات يعني تدمير فرص « السلام » ؛ في الوقت الذي يرفض فيه نتانياهو كل ذلك !!!

والحق الذي لا مرية فيه أن مثل هذه الادعاءات إنما هي لتضليل الشعوب العربية المخدوعة والمغرر بها... فالفروق بين الرجلين هامشية جداً ، وتتعلق بالدرجة والتوقيت لا بالنوع ، وبالشكل أكثر من المضمون ، لأن الهدف الأصيل الثابت لكل من الرجلين هو: العمل على سلب حقوق أصحاب الأرض ، والسعي إلى ترسيخ « الكيان الصهيوني » ، بل والهيمنة على منطقة ما سمي بـِ « الشرق الأوسط وشمال إفريقيا » عسكرياً واقتصادياً... فحزب الليكود هو الذي وقّع معاهدة كامب ديفيد وبعدها وقّع مع مصر ما سمي « معاهدة سلام »! وهو نفسه الذي انطلقت في عهده مسيرة « الاستسلام » في مدريد سنة ١٩٩١م برئاسة شامير ، وكان نتانياهو عضواً بارزاً في الوفد المفاوض ؛ في حين أن حزب العمل كان صاحب الفضل الأكبر في التوسع الكبير بسياسة الاستيطان ، وحتى خلال السنوات الماضية التي شهدت مفاوضات العرب مع الصهاينة في عدد من عواصم العالم ، فإن حملة الاستيطان ومصادرة الأراضي ، وترحيل الفلسطينيين خارج أرضهم لم تتوقف ، بل إن عمليات مصادرة الأراضي قد تمت بصورة متسارعة...

إن هذه الصفة مشتركة في جميع قادة الصهاينة - فمع الخبث والمراوغة والأنانيات - هناك اتفاق على فكرة قيام الكيان والتمكين له والإخلاص لهذه الفكرة والثبات عليها في أي موقع يوجد القائد فيه ، سواء كان عسكرياً أو مدنياً ، في الحكومة أو المعارضة... وهذا الذي وضّحه سفير « الكيان الصهيوني » في بون عند إجابته على سؤال وجه إليه صباح ظهور نتيجة الانتخابات في التلفزيون الألماني ، فكان السؤال: هل انتخب الشعب « الإسرائيلي » نتانياهو لأنه مولود في القدس ، ولم ينتخب بيريز لأنه ولد في أوروبا وهاجر إلى « إسرائيل » وعمر ١٨ سنة ؟! ؛ فأجاب السفير قائلاً: لا! فكل يهودي أين ولد يتلقى تربية يهودية لها ثوابت واحدة ، تقوم على ضرورة الإيمان بدولة « إسرائيل » والعمل على حمايتها والدفاع عنها ، ثم عدّد أفضال بيريز على الجيش ، وما قدمه في سبيل الدولة طول حياته السياسية. ثم أشار إلى أن الأغلبية اختارت نتانياهو لأن الشعارات التي رفعها في حملته الانتخابية وجدت صداها عند الأغلبية في شعب يؤمن « بالديمقراطية » !!!

ماذا كشفت هذه الانتخابات ؟

١- إن الذي تابع تصريحات الساسة والقادة والكتاب العرب قبل وبعد الانتخابات يصاب بالحيرة ، فليس للعرب موقف ثابت ، فالتسويغ والمراوغة هي الأسلوب المتبع ، وسوف أنقل للقارئ تصريحاً للدكتورة حنان عشراوي جاء فيه:

« من إيجابيات وصول نتانياهو للحكم أن نتعامل مع الأمور على حقيقتها ، الجانب العربي والفلسطيني تساهل إلى حد التنازل مع حزب العمل ، واعتبر حزب العمل شريكاً له في السلام ، وكانت تجري المفاوضات على اعتبار أنها مفاوضات مع أصدقاء ، أما الآن فستعود الأمور إلى نصابها ، وسيجلس المفاوض العربي على مائدة المفاوضات مع نتانياهو باعتباره عدواً... ومطلوب منا الآن إعادة صياغة وحدة وطنية فلسطينية ، ووضع استراتيجية واضحة للتفاوض وتفعيل التحرك الشعبي الفلسطيني ، وهو زادُ المفاوض وقوته وسنده ، وعلينا أن نعقد جلسات هادئة لتقييم دقيق لما حدث في الفترة السابقة ، وما يمكن أن يحدث ، والعمل بشكل مدروس ، هذا على المستوى الفلسطيني وأيضاً العربي ، والعمل على كل المحاور ، محور الدول التي عقدت اتفاقاً مع « إسرائيل » مثل مصر والأردن ، ودول تتفاوض مع « إسرائيل » لبنان وسورية ، ودول أبرمت اتفاقات تعاون تجاري مثل المغرب وتونس وقطر وعُمان ، ودول مقاطعة « لإسرائيل » بشدة وأخرى مترددة ، وغيرها متفرجة. هذه الأوضاع كلها لا بد أن تبحث من جديد ، ويكفي علاقات دافئة مع « إسرائيل » بدون وجه حق ، يجب على الأقل عدم السماح بتطوير العلاقات السياسية والاجتماعية مع « إسرائيل » قبل الانتهاء من عملية « السلام » ، إن ما حدث على الأرض الآن ليس شيئاً على الإطلاق ، كل القضايا الجوهرية ما زالت كما هي ، ونتانياهو سيلجأ إلى المراوغة والتأجيل ، وهناك مؤشرات أمريكية خطيرة ، يجب ألا تمر دون أن يتوقف عندها العرب ، « كريستوفر » يتحدث عن تعديل السياسة الأمريكية في السلام على ضوء المعطيات الجديدة.

وهذا يعني أنه من الممكن أن ينحرف الموقف الأمريكي أكثر مما هو منحرف تجاه « إسرائيل » وضد الحقوق العربية. وتطالب د. حنان عشراوي بإعادة تشكيل وفد التفاوض على ضوء الأوضاع الجديدة ، وإعادة صياغة الخطاب السياسي العربي والفلسطيني ، وتحديد ركائز العملية السلمية غير القابلة للتنازل ، لقد قبلنا الكثير من بيريز ورابين مما كان يجب علينا ألا نقبله ، وهذا خلل على الجانب الفلسطيني ، يجب أن نتلافاه وأن نحدد الأولويات ».[1] انتهى التصريح.

ونلفت نظر الدكتورة التي كانت الناطقة الرسمية باسم وفد التفاوض الفلسطيني ، والتي تمثل السلطة الفلسطينية ، إلى أن العرب درجوا على قبول شروط الحاكم اليهودي ، وليس لهم سياسة إلا تنفيذ ما يطلبه الراعي الأمريكي ، وأن العرب بعد حرب « تحرير الكويت » ليس لهم إلا أن ينفذوا ما يُطلب منهم دون تحفظ ، ونقول لها: لماذا لم تُدلي بهذه الحقائق من قبل ؟.

٢- في المقابل أصدر نتانياهو قبل ثلاث سنوات كتاباً بعنوان « إسرائيل والعالم » ، جاء في أحد فصوله « نوعان من السلام » كلام خطير ، يفرق فيه بين نوعين من السلام ، الأول يليق بالمجتمعات الديمقراطية في أوروبا وأمريكا ، وهو سلام التعاون الاقتصادي والثاني هو « سلام الردع » الذي يطبق على البلاد غير الديمقراطية ، وسأكتفي هنا بفقرة واحدة يقول فيها: « فباستثناء إسرائيل لا يوجد أي نظام ديمقراطي قائم على أساس انتخابات حرة وصحافة حرة مع توفر الحقوق المدنية وسيادة حكم القانون ، وبالإضافة إلى ذلك فإن الأنظمة العربية لا تظهر أي دلائل على أنها تنوي تطبيق الديمقراطية التي بدأت تغزو أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي السابق وأمريكا الوسطى والجنوبية وآسيا. وفي الوقت الذي تبدأ فيه ألبانيا ومنغوليا الطريق نحو الديمقراطية ، فإن العالم العربي يرفض حتى بدء عملية حقيقية لإضفاء الطابع الديمقراطي على أنظمته ، وبغض النظر عن تطبيقها تماماً ، وهو الأمر الذي يجب أن يبعث بإشارات تحذير لديمقراطيات غرب أوروبا وأمريكا بأن هذه المنطقة حتى الآن غير قادرة سوى على تطبيق السلام بالردع ». [٢]

كما أكد نتانياهو في العديد من المناسبات الرسمية وغير الرسمية أن الرئيس الأسد مثله مثل الزعماء العرب الآخرين « واقعي » ، ومن ثم فإنه عندما يتيقن أن « إسرائيل » لن تعيد الجولان تحت أي ظرف ، وأن لديها من القوة ما يكفل ذلك ، فإنه سيخضع « لمنطق الواقع » ويقبل بصفقة يتم فيها تبادل « السلام لسورية في مقابل الجولان لإسرائيل » ، كما أكد كريستوفر أن أمريكا هي التي « ستكيف » سياساتها تجاه عملية السلام على ضوء موقف الحكومة الإسرائيلية الجديدة ، مع ضمان استمرار التأييد والدعم الأمريكي « لإسرائيل » على الوتيرة نفسها السابقة تحت كل الظروف.

٣- اجتماعات القادة العرب في صور ثنائية أو ثلاثية أو حتى قمة موسعة ، كل هذه الاجتماعات أعجز من أن تصل إلى موقف فاعل في مواجهة « الكيان الصهيوني » ، وهذه الاجتماعات في حقيقتها إنما تبحث عن صور للحفاظ على الأنظمة وبقائها ، وإخراج لتصرفاتها المستقبلية التي تجعلها تحافظ على جزء من ماء الوجه ، ويكفي هنا الإشارة إلى إجابة نتانياهو على سؤال وُجه إليه حول القمة العربية المزمع عقدها في القاهرة في هذا الشهر فأجاب: لا يمكن أن تخرج بشيء يعرقل عمل الحكومة الجديدة...!!!

بيان وموقف مطلوب

أيها العرب والمسلمون:

إن الطريق إلى الكرامة والعزة يفرض علينا جميعاً - معشر العرب والمسلمين - أن نخرج من خلافاتنا وصراعاتنا حكاماً ومحكومين... قال عزّ وجلّ: { **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحُكم** } (الأنفال:٤٦) ، والتعاون على البر والتقوى مما افترضه الله تعالى علينا ، وهو من أهم أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة ، قال تعالى: { **وتعاونوا على البرِّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** } (المائدة:٢) ، فإلى خروج قريب من الخصومات ندعوكم... وإلى تعاون جاد على توفير القوة نناديكم... ونناشد الجميع أن يتحملوا أعباء تخليص الأمة من ضعفها الداخلي وعجزها أمام أعدائها الخارجيين... مع التأكيد على أن الانتصار على الأنفس في القيام بالواجبات يؤهلنا لهداية الله تعالى ومعونته... قال عزّ وجلّ: { **فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم** } (محمد:٣٥) ، وقال سبحانه: { **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** } (العنكبوت:٦٩).

أما الموقف المطلوب فيتلخص في:

١- لا يكمن حل مشكلة فلسطين والأراضي العربية المحتلة في أن يكون بيريز أو نتانياهو رئيساً لوزراء « الكيان الصهيوني » ، وإنما يكمن في القضاء على العجز الذي أصاب الأمة ، وهذا يرتبط بقدرة المسلمين على توفير أسباب القوة والمنعة اللازمة. وأول خطوات الطريق إلى القوة... بكافة صورها... إنما يكمن في « المصالحة بين الأنظمة والشعوب » ، هذه المصالحة التي تُشعر المسلمين جميعاً بأنهم شركاء في تحمل المسؤولية.

٢- لقد انكشف لكل إنسان حقيقة الموقف الأمريكي من قضايا العرب والمسلمين ، وظهر للعيان مدى استخفاف أمريكا بمن يعدونها صديقة... ولم يعد خافيا استهتار أمريكا بالشرعية الدولية وبالقيم الأخلاقية من أجل مصالحها...

لذلك ندعو المسؤولين إلى اتخاذ المواقف التي تُشعر الآخرين بأن صداقتنا تنفع وعداءنا يضر.

٣- أما شعوب العالم الإسلامي فعليها أن تستيقظ وتهتم بقضاياها المصيرية ، وعلى الحركات الإسلامية ، والقوى السياسية ، التعاون المخلص للأخذ بأيدي الشعوب إلى ما فيه خيرها وصلاحها وقوتها ومنعتها في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ البشر.

الهوامش:

(١) من مقال بعنوان: خبراء مصريون وفلسطينيون يؤكدون: نتانياهو « العدو » أفضل من بيريز « الصديق » !! منشور في مجلة المصور المصرية ، العدد ٣٧٣٩ بتاريخ ١٤١٧/١/٢٠هـ (١٩٩٦/٦/٧م).

مجلة المصور ، العدد المشار إليه في (١) ، الجزء الأول من ترجمة كتاب نتانياهو « إسرائيل والعالم » ، ص ٥٣ .